نشوء السفن الحربية

من الحراقة الى الدردنوط

لا يعلم بالتحقيق تاريخ ظهور السفن الحربية ولو على ابسط اشكالها ولكننا نعلم ان الفينيقيين قبل التاريخ المسيحي بقرون كانوا يسلحون سفنهم باسلحة تقيها غارات القرصان الذين كانوا يعلاُون طرق التجارة في ذلك العهد. وغني عن البيان ان ارتقاء السفن الحربية مصاحب لارتقاء السفن التجارية بل ان الصنف الواحد منهما نشأ عن الصنف الآخر

واول ذكر للسفن الشراعية نراهُ في النقوش المصرية فكانت تلك السفن تمخر في النيل وقلما كانت تمخر في بحر الروم او البحر الاحمر. وكان مقدمها معقوفاً الى فوق ومؤخرها عالياً ومجاذيفها كثيرة على الجانبين وعنهم اخذ من عقبهم من الامم وبقي هـذا الشكل هو الشكل المعوّل عليهِ نحو اربعة آلاف سنة مع تغيير قليل كما يرى فيما بقي من آثار سفن اليونانيين والرومانيين واهل البندقية

على ان الفينيقيين كانوا اول امة برّزت في ميادين البحار وقادها حب الاستطلاع الى استطلاع جوانب بحر الروم والنفاذ منهُ في بوغاز جبل طارق الى المحيط الاتلنتيكي والوصول الى سواحل بريطانيا. وتدلُّ النقوش التي وجدت في سورية ان الفينيقيين بنوا منذ سنة ٧٠٠ قبل المسيح سفناً بعضين من المجاذيف على كل جانب. ويؤخذ مما رواهُ هيرودتس عنهم ان سفنهم كانت تسلح لسلك كل البحار وان ملاحيهم كانوا من امهر الملاحين. فقد روى ان نخو ملك مصر اراد ان يحفر ترعة تصل بين بحر الروم والبحر الاحمر فتشل في مشروعهِ هذا فانتدب نفراً من الملاحين الفينيقيين ليطوفوا حول افريقية ففعلوا — خرجوا من البحر الاحمر وعادوا بطريق بحر الروم

والمرجح ان اليونانيين نسجوا على منوال الفينيقيين في بناء سفنهم. وترى في الرسم الاول صورة سفينة حربية يونانية اشتركت في معركة سلاميس المشهورة. وليس في التاريخ الذي بين ايدينا ما نعرف منهُ متى بدأ الناس يبنون السفن على شكل هيكل السمكة بقدارهِ واضلاعهِ وانما نعرف انهُ كان للسفن اليونانية ظهر

سفينة ذات ثلاثة مقاعد　　سفينة يونانية حربية

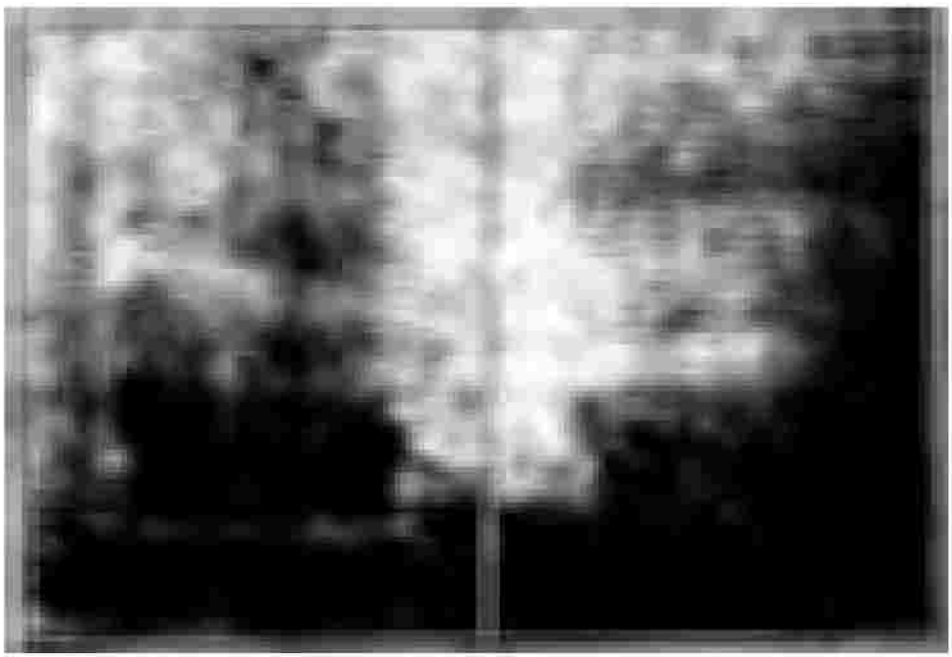

فكتوري بارجة نلسن　　بارجة من بوارج المهارة الاسبانية

مقتطف يناير ١٩٢٢

امام الصفحة ٤٠

واضلاع وانهم كانوا يملأون ما بين الاضلاع بالواح ومسامير خشبية وبعض مسامير من البرونز . وكانوا يستعملون لها شراعاً واحداً مربعاً كما كان المصريون يفعلون وبقي هذا الشراع من خصائص السفن الحربية الاولى مدة قرون كثيرة . ويقول هوميروس انهُ كان في السفينة الحربية اليونانية عشرون جذافاً الى خمسين كانوا يجلسون على مقاعد عرضية وفيها قرنان الواحدة عند المقدم والثانية عند المؤخر. وكان يجلس في الاولى الرقيب وفي الثانية « الريس » او مدير الدفة. وكان المؤخر كثير الزخرف وشكلهُ كشكل ذنب السمكة. وبقي عدد الملاحين في اكبر سفينة ٥٠ الى سنة ٧٠٠ قبل المسيح وكانوا يجلسون على مقعد واحد ولكن اضيف الى سطح السفن فيما بعد سطح آخر ومعهُ مقعد ثانٍ للجذافين . وسفن مثل هذه عرفت باسم ذات المقعدين وتلتها ذات الثلاثة المقاعد كما يرى في الشكل الثاني. واستعمل منها نحو مئة سفينة في معركة سلاميس

ومما اشتركت فيهِ السفن كلها الكبش او المنجنيق وكان في كل منها واحد تحت سطح الماء وآخر فوقهُ وكان هذا المنجنيق اعظم سلاح السفن يستعمل للنطح ولكن كثيراً ما كان يتفق ان تستوي السفينة الناطحة والمنطوحة في الضرر الذي كانتا تصابان بهِ

واخذ الرومانيون عن اليونانيين كما اخذ هؤلاء عن الفينيقيين قبلهم وزادوا سفنهم كبراً على السفن اليونانية كما زاد اليونانيون سفنهم كبراً على السفن الفينيقية. واخص ما اشتهر بهِ الرومانيون اسطولهم التجاري بسفنهِ التي كانت تنقل الحبوب من اطراف بحر الروم الى رومية وكان هذا الاسطول الصلة المتينة التي ربطت رومية مركز السلطنة الامبراطورية بمستعمراتها النائية. وكانوا ينقشون اسم السفينة على مقدمها ويجعلون مؤخرها على شكل عنق اوزة ويموّهونهُ بماء الذهب . ولم يبلغ اسطولهم الحربي شأناً يذكر حتى كانت حروبهم مع قرطجنة فقهروها بعمارة مؤلفة من مئة بارجة من ذوات الخمسة المقاعد وعشرين من ذوات الثلاثة

وكانت البوارج الحربية الاولى في كل امة من الامم القديمة مكشوفة غير مزخرفة ثم تلتها بوارج في مقدمها ومؤخرها غرفتان ثم بوارج في وسطها شبه منصة متصلة بالغرفتين المذكورتين يستعملها الربان وسائر موظفي السفينة . ثم لما

كبرت البوارج جعل لها سطح كامل تقف الجنود المقاتلة فيه للقتال والمدافعون تحته

وكان للبنادقة اليد الطولى في تحسين السفن التجارية والحربية معاً في العصور المتوسطة وما قبلها وكان في البارجة من بوارجهم ثلاث سوار وهي اسرع جرياً من سفن اليونان والرومان

وعلى تفوق الفينيقيين على الامم القديمة في الملاحة وتجشم الاسفار البحرية الطويلة لم يبلغوا مبلغ الامم الاسكندناوية في ذلك . فان اسلافهم الملقبين « بالفيكنج » اي قرصان بحار اوربا الغربية في القرن الثامن والتاسع والعاشر للمسيح بنوا سفناً جميلة عالية اوغلوا فيها الى مجاهل البحور الغربية . ويكاد يكون المتفق عليه الآن انهم نزلوا الى بر اميركا قبل كولمبس ببضعة قرون وكانوا يهتدون بالشمس نهاراً وبنجم القطب ليلاً ولهم من سليقتهم اعظم معوان على ذلك

ومما استدل به على ان سفنهم المكشوفة كانت تستطيع اجتياز الاتلنتيكي بعواصفه الشديدة ان سفينة بنيت في وقت معرض شيكاغو على نموذج بقايا سفينة من سفن الفيكنج وجدت في مدفن ببلاد نروج . ثم انزلت هذه السفينة الى البحر في مدينة برغن واقلعت في اول شهر مايو فبلغت الساحل الاميركي في ١٣ يونيو اي بعد مسيرة ٤٤ يوماً . وقد قال ربانها ان جريها كان على غاية المرام وان سرعتها لم تقل عن سرعة السفن التجارية الحديثة

وفي الشكل الثالث صورة بارجة من بوارج العمارة الاسبانية المشهورة في التاريخ وقد بنيت في اواخر القرن السادس عشر وفيها ثلاث سوار لا اثنتان . وكانت مدافعها ضيقة قصيرة المدى مصفوفة في صفين الواحد فوق الآخر في سطحي البارجة

ثم زادت بوارج القرنين السابع عشر والثامن عشر حجماً وقوة شراع حتى صارت تبنى بثلاثة سطوح في عهد نلسن اي في اوائل القرن التاسع عشر . وكان في اكبرها ١٢٠ مدفعاً الى ١٣٠ وفي الشكل الرابع صورة البارجة « فكتوري » وهي بارجة نلسن التي قتل عليها وانتصر فيها على البوارج الفرنسوية في معركة ترافلغار

الطراد الاكبر هود

مقتطف يناير ١٩٢٢

امام الصفحة ٤٣

وبقيت السفن التجارية على شكلها وحالها حتى منتصف القرن التاسع عشر حين ادخل عليها تغيير كبير على اثر استعمال البخار في تسيير السفن

وبعد ذلك بقليل صنع اريكسن حراقتهُ المشهورة من الفولاذ وكان علو سطحها نحو قدمين عن سطح الماء وليس عليهِ سوى برج واحد مدرع وفيهِ مدفعان ضخمان. وكان الفرنسويون قبل ذلك ببضع سنوات قد شرعوا يصفحون سفنهم الحربية البخارية بصفائح من الحديد فكان هذا العهد بدء عهد السفن المدرعة الحديثة. ومن نماذجها البارجة اوريفون الاميركية وثخن درعها ١٨ بوصة وبرجها مصفح بالفولاذ وجميع مدافعها محمية. وعلو سطحها ١٣ قدماً عن سطح الماء

وهذا يصل بنا الى اواخر القرن التاسع عشر. ثم ادخل الانكليز طرز بوارج دردنوط وفيهِ عدل عن البطريات المختلطة بمدافع من عيار ١٢ بوصة و٨ بوصات و٦ الى مدافع كلها من عيار ١٢ بوصة مع مدافع قليلة صغيرة لمقاومة الطربيد. واول بوارج هذا الطرز (واسمها «دردنوط» ومنهُ اخذ اسم الطرز) كانت حمولتها ١٧٥٠٠ طن وسرعتها ٢١ ميلاً في الساعة وثخن درعها ١١ بوصة وكان بها ١٠ مدافع من عيار ١٢ بوصة. ثم ما فتئت البوارج تكبر وتثخن دروعها ويزاد عيار مدافعها ومدى جريها وقدرتها على مقاومة الطربيد حتى بلغت ما هي عليهِ الآن. والبارجة بنسلفانيا الاميركية واحدة من هذا الطرز محمولها ٣٢ الف طن وفيها ١٢ هدفاً من عيار ١٤ بوصة وسرعتها ٢١ ميلاً وثخن درعها ١٣ بوصة ودرع مدافعها ١٨ بوصة

واجدّ منها الطراد هود البريطاني المرسوم في الشكل الخامس طولهُ ٨٦٠ قدماً ومحمولهُ ٤٢ الف طن وفيهِ ٨ مدافع من عيار ١٥ بوصة وثخن درعهِ ١٢ بوصة ودرع مدافعهِ ١٥ بوصة. واهمّ خصائصهِ ان سرعتهُ مع هذه المدافع الضخمة وهذه الدرع الثخينة ٣٢ ميلاً في الساعة

وقد استفاد صانعو البوارج من الحرب الاخيرة ان صاروا يصفحون ظهرها كما يصفحون جانبيها ويزيدوا ثخن جوانب الابراج التي تكون فيها المدافع لان القنابل التي ترشق بها عن بُعد تقع عليها من علُ فتنفذ الى مخازن البارود اذا لم تكن محمية كذلك